

بُرے خاتے کے اسباب

# أَسْبَابُ سُوءِ الْخَاتِمَةِ

لفضيلة الشيخ الدعية الكبير أبي بلال  
محمد إلياس العطارد القادري الرضوي  
حفظه الله تعالى

# أَسْبَابُ سُوءِ الْخَاتِمَةِ

لِفَضِيلَتِ الشَّيْخِ الدَّاعِيَةِ الْكَبِيرِ أَبِي بِلَالٍ مُحَمَّدِ بْنِ الْيَاسِ الْعِظَمَاءِ

الْقَادِرِيِّ الْخَوِيِّ حَفِظَهُ اللَّهُ عَالِي

تَعْرِيبُ

مَجْلِسِ التَّرَاجِمِ

الطبعة الأولى

١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

مكتبة المدينة

للطباعة والنشر والتوزيع

المركز العالمي، جامع فيضان المدينة، سوق الخضار القديم، حي سودا

غران، كراتشي - باكستان.

هاتف: ٤٩٢١٣٨٩ - ٠٠٩٢٢١ فاكس: ٤٩٢١٣٩٤ - ٠٠٩٢٢١

البريد الإلكتروني: [translation@dawateislami.net](mailto:translation@dawateislami.net)

[overseas@dawateislami.net](mailto:overseas@dawateislami.net) :

موقعنا على الإنترنت: [www.dawateislami.net](http://www.dawateislami.net)

## أخي القارئ العزيز:

فضيلة الشيخ الداعية الكبير أبو بلال محمد إلياس العطار  
القادري الرضوي قد صنّف الكتب والرسائل باللغة الأردنية، فأخذنا  
على أنفسنا ترجمتها من الأردية إلى العربية والإنجليزية والفارسية  
وغيرها من اللغات وقمنا بترجمة هذه الرسالة من الأردية إلى  
العربية وإخراجها بنهج دقيق قبل دفعها للطباعة فإن وافقنا الحقّ  
والصواب فالمنة لله العلي الكبير وإلا فالعبد محلّ الخطأ والتقصير  
ولا سيّما مع الباع القاصر والعلم القصير ونعتذر لذوي الألباب من  
التقصير الواقع في ترجمة هذه الرسالة من الأردية إلى العربية.

ونسأل بلسان التضرع والخشوع أن تنظروها بعين الرضى  
والصواب فما كان من نقص كملوه، وما كان من خطأ أصلحوه  
بل أرسلوه لنا فنتداركه في الطبعات اللاحقة ونرحب بملاحظاتكم  
النافعة وبهذا تكونون قد شاركتم معنا بجهد مشكور يتضافر مع  
جهدنا جميعاً في سيرنا نحو الأفضل.

مجلس التراجم من جمعية الدعوة الإسلامية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على  
سيد الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه والتابعين لهم  
بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فقد حُكي أنّ رجلاً رأى في المنام شخصاً واحداً  
وعلى رأسه قلنسوةُ المجوسِ فسأله وقال: بماذا؟ قال: إذا  
جاء ذكرُ النبيِّ صلى الله تعالى عليه وآله وسلّم لم أصلّ عليه  
فسلّني الله الإيمانَ والمعرفةَ<sup>(١)</sup>.

**أيها المسلمون:** إنّ المَعاصي من الأسباب المؤدّية  
إلى سوء الخاتمة، ولكن اعلموا أنّ من رأى في المنام  
رجلاً يقول: سلّني الله الإيمانَ والمعرفةَ فلا يُحكّم عليه  
بالكفر؛ لأنّ منامَ غيرِ النبيِّ ليس بحجّة شرعاً.

---

(١) ذكره مرجع الفريقين ومجمع الطريقتين وبحر طريقة، بقية السلف حجّة  
الخلف سيدنا ومولانا مير عبد الواحد إبراهيم البلگرامي قدس سره السامي  
في كتابه "سبع سنابل"، ص ٣٥.

قال العلماء الكرام: إِنَّ الصَّلَاةَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَكُونُ فَرْضًا فِي الْعُمْرِ مَرَّةً، وَتَجِبُ فِي كُلِّ مَجْلِسٍ مَرَّةً وَإِنْ تَكَرَّرَ ذِكْرُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيَنْدُبُ تَكَرُّرُ الصَّلَاةِ فِي الْمَجْلِسِ الْوَاحِدِ كُلَّمَا جَرَى ذِكْرُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ<sup>(١)</sup>. فَيَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ أَنْ يُلْزِمَ نَفْسَهُ تَكَرُّرَ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلَّمَا ذُكِرَ عَمَلًا بظَاهِرِ الْأَحَادِيثِ وَلَا يَحْرِمُ نَفْسَهُ الثَّوَابَ وَالْأَجْرَ، وَإِذَا كَتَبَ اسْمَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَنْبَغِي أَنْ يُصَلِّيَ عَلَيْهِ وَلَا يَسْتَعْمِلَ حَرْفَ (ص) أَوْ (صَلَعَم) رَمزًا لِكَلِمَةِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، بَلْ يُكْتَبُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَدْ قَالَ الْعَلَامَةُ الطَّحْطَاوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: يُكْرَهُ الرَّمزُ بِالصَّلَاةِ وَالتَّرَضِّي بِالْكِتَابَةِ بَلْ يُكْتَبُ ذَلِكَ كُلُّهُ بِكَمَالِهِ<sup>(٢)</sup>. فَيَنْبَغِي أَنْ يَعْمَلَ بِالْأَسْبَابِ الَّتِي تُوصِلُ إِلَى حُسْنِ الْخَاتِمَةِ وَيَتَّعَدَّ عَنْ

(١) انظر "الدر المختار" و"رد المحتار"، ٢/٢٧٨.

(٢) ذكره العلامة السيد أحمد الطحطاوي، (ت ١٢٣١هـ)، في "حاشيته"

على "الدر"، ٦/١.

جميع الأسباب التي تَنشأ عنها سوء الخاتمة، وقال بعض العلماء: الأسبابُ الْمُقْتَضِيَةُ لسوء الخاتمة والعياذ بالله أربعة: التَّهَاؤُنُ بِالصَّلَاةِ وَشُرْبُ الخَمْرِ وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ وَأَذَى الْمُسْلِمِينَ<sup>(١)</sup>. فَمِنَ الْمُؤَسَفِ نَحْنُ نجد من المسلمين اليومَ من لا يُقيمون الصَّلَاةَ ولا يُحافظون عليها فلا يُصلُّون مع الجماعة ولا يأتون بشروطها وأركانها وواجباتها ولا يُبالون بالطَّهارة ولا يُصلُّون في الوقت ولا يَطْمَئِنُّون في القيام والقعود والركوع والسجود، ونجد من المسلمين اليومَ من يَنعَمِسون في شُرْبِ الخمر وعُقُوقِ الوَالِدَيْنِ وَتَحْزِينِهِمَا وَنَهْرِهِمَا وَزَجْرِهِمَا وَالتَّضَجُّرِ مِنْ أَمْرِهِمَا وَتَقْطِيبِ الْجَبِينِ أَمَامَهُمَا وَالتَّنْظَرِ إِلَيْهِمَا شَزْرًا وَالْإِشَاحَةَ بِالوَجْهِ عَنْهُمَا وَقَلَّةِ الْاِعْتِدَادِ بِرَأْيِهِمَا وَإِثَارَةِ الْمُشْكَلاتِ أَمَامَهُمَا وَنَجْدُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ الْيَوْمَ مِنْ يَنْهَمِكُونِ انْهَمَاكَ

---

(١) ذكره سيدنا ومولانا جلال الدين عبد الرحمن السيوطي الشافعي رحمه الله تعالى (ت ٩١١هـ) في "شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور"، باب علامة خاتمة الخير، ص ٢٧.



الغافل في التعدي على الخلق في دمائهم وأموالهم  
وأعراضهم وإزهاق نفوسهم ظلماً وعدواناً فيا أيها  
المسلمون اجتهدوا وشمروا وبادروا بالأعمال الصالحة،  
واستغفروا لذنوبكم وارجعوا إلى ربكم وتوبوا إلى الله تعالى  
توبةً نصوحاً.

فإن التوبة في اللغة: الرجوع إلى الله تعالى،  
وأركانها ثلاثة لا بُدَّ منها حتى تصحَّ التوبة: الندم على ما  
عمل من السيئات، وترك المعصية في الحال، والعزم على  
أن لا يعودَ إلى مثلها، وبهذا القدر تتمَّ التوبةُ إلا في  
الفرائض التي يجبُ قضاؤها فتحتاجُ التوبةُ فيها إلى القضاء،  
وينبغي للمسلم أن يتوبَ إلى الله تعالى بردَّ المظالم إلى  
أهلها وقضاء الديون وإرضاء الخصوم، ويجتنب الأسبابَ  
التي تُفضي إلى سوء الخاتمة، ويحترز من المعاصي؛ لأنَّ  
المعاصي بريدُ الكفر.

فقد حكي أن تلميذاً للفضيل بن عياض رضي الله  
تعالى عنه حضرته الوفاة، فدخل عليه الفضيل وجلس عند

رأسه وقرأ سورة يس، فقال: يا أستاذ لا تقرأ، فسكت؛ ثم لَقَّته، فقال: قُل: لا إله إلا الله، فقال: لا أقولها؛ لأني منها بريء، ومات على ذلك؛ فدخل الفضيل منزله وجعل يئكي أربعين يوماً لم يخرج من البيت، ثم رآه في النوم وهو يُسحبُ به إلى جهنم، فقال: بأي شيء نزع الله المعرفة منك، وكنت أعلم تلامذتي؟ قال: بثلاثة أشياء: أولها: النَمِيمَةُ: فَإني قلت لأصحابي بخلاف ما قلت لك. والثاني: الحسد: حَسَدْتُ أصحابي. والثالث: كان بي علةٌ فجئتُ إلى الطبيب فسألته عنها، فقال: تَشْرَبُ في كلِّ سنةٍ قَدْحًا من خمر، فإن لم تَفْعَلْ تَبْقَى بكِ العلةُ، فكنْتُ أَشْرَبُهُ<sup>(١)</sup>. نعوذ بالله من السَّخَطِ الَّذِي لا طاقةَ لنا به ونَسْتَغْفِرُهُ من جميعِ سَيِّئَاتِنَا، وفي "الدرِّ المختار": ما ظَهَرَ من الْمُحْتَضِرِ

---

(١) ذكره حجة الإسلام الإمام أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي (ت ٥٠٥ هـ) في كتابه "منهاج العابدين"، الأصل الثالث في ذكر ما وعد وأوعد في المعاد، الباب السادس العقبة السادسة وهي عقبة القوادح، ص ١٦٥.

من كلمات كُفْرِيَّةٍ يُغْتَفَرُ فِي حَقِّهِ وَيُعَامَلُ مُعَامَلَةَ مَوْتَى  
المسلمين حملاً على أنه في حال زوال عقله<sup>(١)</sup>.

**إخواني المسلمين:** اعلموا أن داء النَّمِيمَةِ انْتَشَرَ بَيْنَ  
بَعْضِ النَّاسِ وَهِيَ أَنْ يَنْقُلَ الرَّجُلُ كَلَامَ الْغَيْرِ بَيْنَ النَّاسِ  
يَذْهَبُ إِلَى الشَّخْصِ وَيَقُولُ: قَالَ فَيْكَ فُلَانٌ كَذَا وَكَذَا  
بِقَصْدِ الْإِفْسَادِ وَإِلْقَاءِ الْعَدَاوَةِ وَالْبَغْضَاءِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَلَا  
يَعْلَمُ أَنَّهُ بِنَمِيمَتِهِ هَذِهِ أَصْبَحَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ  
وَالْمُتَعَرِّضِينَ لِعَقُوبَةِ اللَّهِ تَعَالَى.

فَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:  
«الْهَمَّازُونَ وَاللَّمَّازُونَ وَالْمَشَّائُونَ بِالنَّمِيمَةِ الْبَاغُونَ لِلْبُرَاءِ  
الْعَنْتَ يَحْشُرُهُمُ اللَّهُ فِي وُجُوهِ الْكِلَابِ»<sup>(٢)</sup>. وَقَالَ سَيِّدُنَا  
حُذَيْفَةُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى  
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَتَاتٌ»<sup>(٣)</sup>.

---

(١) "الدر المختار"، كتاب الصلاة، باب صلاة الجنابة، ٩٦/٣.

(٢) "الترغيب والترهيب"، الترهيب من النميمه، ٣٢٥/٣، (١٠).

(٣) أخرجه البخاري في "صحيحه"، كتاب الأدب، ١١٥/٤، (٦٠٥٦).

فَيَبْغِي لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَحْتَرِزَ مِنَ الْحَسَدِ وَالْغِيْبَةِ  
وَالنَّمِيْمَةِ وَغَيْرِهَا مِنَ الْمُهْلِكَاتِ الْعَظِيْمَةِ الَّتِي هِيَ مِنْ كَبَائِرِ  
الذُّنُوبِ وَمِنْ أَسْبَابِ عَذَابِ الْقَبْرِ وَعَذَابِ النَّارِ وَسُوءِ  
الْخَاتِمَةِ، وَمَعَ الْأَسْفِ الشَّدِيدِ نَحْنُ نَجِدُ مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ  
الْيَوْمَ مَنْ لَا يَحْفَظُونَ اللِّسَانَ وَلَا يُلْزِمُونَ أَنْفُسَهُمُ السُّكُوتَ،  
وَيَحْسُدُونَ عَلَى الْقَلِيلِ وَالكَثِيرِ وَيُغْرُونَ الْإِخْوَانَ عَلَى  
الْإِخْوَانَ بِالنَّمِيْمَةِ وَالْغِيْبَةِ وَالْبُهْتَانِ فِي كُلِّ مَجْلِسٍ، وَمَا  
عَلِمُوا أَنَّهُمْ بِذَلِكَ وَقَعُوا فِي الْمَهْلِكَاتِ الْعَظِيْمَةِ.

**أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: إِنَّ خَطَرَ اللِّسَانِ عَظِيمٌ وَأَمْرَهُ  
مُحِيفٌ، وَلَا نَجَاةَ مِنْ خَطَرِهِ إِلَّا بِالصَّمْتِ وَتَرْكِ النُّطْقِ إِلَّا  
عِنْدَ الْحَاجَةِ بِقَدْرِهَا، فَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
وَسَلَّمَ: «مَنْ كَثُرَ كَلَامُهُ كَثُرَ سَقَطُهُ، وَمَنْ كَثُرَ سَقَطُهُ  
كَثُرَتْ ذُنُوبُهُ، وَمَنْ كَثُرَتْ ذُنُوبُهُ كَانَتْ النَّارُ أَوْلَى بِهِ»<sup>(١)</sup>.  
وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «طُوبَى لِمَنْ عَمَلَ بِعِلْمٍ وَأَنْفَقَ**

<sup>(١)</sup> ذكره أحمد الأصفهاني (ت ٤٣٠هـ) في "حلية الأولياء"، ٨٧/٣،  
(٣٢٧٨)، والطبراني في "المعجم الأوسط"، ٤٧/٥، (٦٥٤١).

الفضلَ من ماله وأمسكَ الفضلَ من قوله»<sup>(١)</sup>. وعن بعضِ الصَّحابة قال: إنَّ الرجلَ ليُكَلِّمُنِي بالكلامِ، لَجَوَابِهِ أَشْهَى إِلَيَّ من الماءِ الباردِ إلى الظَّمآنِ، فَأَتْرُكُ جَوَابَهُ، خِيفَةً أَنْ يَكُونَ فَضُولاً<sup>(٢)</sup>.

إخواني المسلمين ومن أعظم المهلكات: الحسدُ للمسلمين، عن أنسٍ رضي الله عنه أن رسولَ الله صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: «الحسدُ يأكلُ الحَسَنَاتِ، كما تأكلُ النَّارُ الحَطَبَ»<sup>(٣)</sup>. ومعنى الحسد: أن تَتَمَنَّى زوالَ نعمةِ المحسودِ إليك<sup>(٤)</sup>. ومن علاماته أن تَجِدَ في الصدرِ والقلبِ ضيقًا وحرَجًا وكرَاهِيَةً لنعمةِ أنعمَ اللهُ بها على عبدٍ من عباده في

---

(١) أخرجه أبو القاسم الطبراني (ت ٣٦٠هـ) في "الكبير"، ٧١/٥، (٤٦١٦).

(٢) ذكره الغزالي في "إحياء علوم الدين"، كتاب آفات اللسان، بيان عظيم خطر اللسان وفضيلة الصمت ١٤١/٣.

(٣) أخرجه ابن ماجه (ت ٢٧٣هـ) في "سننه"، كتاب الزهد، باب: الحسد،

٤/٤٧٣، (٤٢١٠)، وأبو داود (ت ٢٧٥هـ) في "سننه"، كتاب الأدب،

باب في الحسد، ٣٦١/٤، (٤٩٠٣)

(٤) ذكره ابن منظور في "لسان العرب"، باب الحسد، ٨٢٦/١.

دينه أو دنياه، حَتَّىٰ إِنَّكَ تَحْسُدُهُ بِأَن تَتَمَنَّىٰ زَوَالَ نِعْمَتِهِ عَنْهُ  
وَتَتَمَتَّعَ بِنِعْمَتِهِ وَتَفْرَحَ بِمَصِيبَتِهِ وَأَنْ تَشْمَتَ بِبِلَيْتِهِ وَتَهْجُرَهُ  
وَتُقَاتِعَهُ وَتَتَكَلَّمَ فِيهِ بِمَا لَا يَحِلُّ مِنْ كَذِبٍ وَغَيْبَةٍ وَنَمِيمَةٍ  
وَإِفْشَاءِ سِرٍّ وَهْتِكِ سِتْرٍ وَغَيْرِهِ، وَأَنْ تَهْزَأَ وَتَسْخَرَ مِنْهُ وَتَمْنَعَهُ  
حَقَّهُ مِنْ قَضَاءِ دِينٍ أَوْ صَلَاةِ رَحْمٍ أَوْ رَدِّ مَظْلَمَةٍ وَكُلِّ ذَلِكَ  
شَدِيدُ الْإِثْمِ وَالتَّحْرِيمِ، وَمَعَ ذَلِكَ انْتَشَرَتِ الْمَعَاصِي بَيْنَ  
النَّاسِ وَانْعَدَمَتِ مُؤَاسَاةُ ذَوِي الْحَاجَاتِ وَالرَّحْمَةُ  
بِالْمُسْلِمِينَ وَالشَّفَقَةُ عَلَيْهِمْ، وَأَمَّا السَّلْفُ الصَّالِحُ فَكَانُوا  
يُعَاشِرُونَ الْمُسْلِمِينَ مُعَاشِرَةَ الْإِخْوَةِ فِي التَّحَابُّبِ وَالتَّصَافِي  
وَتَجَنُّبِ التَّحَافِي وَالتَّزَامِ اللَّيْنِ وَالرَّفْقِ وَالبَشَاشَةِ وَجَلْبِ  
الْمَنَافِعِ وَدَفْعِ الْمَضَارِّ وَالْإِغَاثَةِ وَالْإِعَانَةَ وَجَلْبِ الْمَسَارِّ، فَقَدْ  
حُكِيَ أَنَّ الشَّيْخَ ضِيَاءَ الدِّينِ أَحْمَدَ الْقَادِرِي الْمَدَنِي رَحِمَهُ  
اللَّهُ تَعَالَى فَقَدْ قِيلَ لَهُ: كَيْفَ وَجَدْتَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ؟ قَالَ:  
إِنَّهُمْ كَانُوا مِنْ أَهْلِ الْخَيْرِ وَالصَّلَاحِ، وَقَدْ بَلَغْنَا أَنَّ رَجُلًا  
أَرَادَ تَوْزِيعَ ثِيَابٍ عَلَى الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ فَخَرَجَ إِلَى بَزَاذٍ؛  
لِيَشْتَرِيَ مِنْهُ ثِيَابًا، فَقَالَ: بِكُمْ هَذِهِ الثِّيَابُ؟ قَالَ الْبَزَاذُ: إِنِّي

أقدرُ على أن أبيعَكَ هذه الثيابَ، ولكن أتمسُّ منك أن  
تشتري من هذا البزازِ، فإني كسبتُ كثيراً من المال، ولكنه  
كسبَ قليلاً من المالِ، رحمهم الله تعالى وغفر لنا بهم.  
فينبغي للمسلم أن يحرصَ على تفريجِ كُربِ المسلمين  
وقضاءِ مصالحهم وحاجاتهم، ويحترز من الكذب والغيبة  
والتميمة وغيرها من المهلكات العظيمة التي تُفضي إلى سوء  
الخاتمة.

**أيها المسلمون:** ومن أسباب سوء الخاتمة: النَّظْرُ  
إلى المرأة والأمرد مع الشهوة كما ظهر من هذه الحكاية  
أنَّ عبد الله بن أحمد المؤدِّن رحمه الله تعالى قال: كُنْتُ  
أطوفُ حولَ الكعبةِ وإذا برجلٍ مُتعلِّقٍ بأستارها وهو يقول:  
اللَّهُمَّ أخرجني من الدنيا مسلماً لا يزيدُ على ذلك شيئاً،  
فقلتُ له: ألا تزيدُ على هذا الدعاء شيئاً؟ فقال: لو علمتَ  
قصتي! فقلتُ له: وما قصتُك؟ قال: كان لي أخوان وكان  
الأكبرُ منهما مؤدِّناً، أذنَّ أربعين سنةً احتساباً فلما حضره  
الموتُ دعا بالمصحفِ فظننَّا أنه يتبرَّكُ به ويقرأُ منه شيئاً،

فَأَخَذَهُ بِيَدِهِ وَأَشْهَدَ عَلَى نَفْسِهِ مَنْ حَضَرَ: أَنَّهُ بَرِيءٌ مِمَّا فِيهِ،  
 ثُمَّ تَحَوَّلَ إِلَى دِينِ النَّصْرَانِيَّةِ فَمَاتَ نَصْرَانِيًّا، فَلَمَّا دُفِنَ أَذِنَ  
 الْآخِرُ ثَلَاثِينَ سَنَةً فَلَمَّا حَضَرَهُ الْمَوْتُ فَعَلَ كَمَا فَعَلَ الْأَخُ  
 الْأَكْبَرُ، فَمَاتَ عَلَى دِينِ النَّصْرَانِيَّةِ أَيْضًا، نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ  
 مَكْرِهِ، وَإِنِّي أَخَافُ عَلَى نَفْسِي أَنْ أَصِيرَ مِثْلَهُمَا، فَأَنَا أَدْعُو  
 اللَّهَ أَنْ يَحْفَظَ عَلَيَّ دِينِي، قَالَ: فَقُلْتُ: مَا كَانَ ذَنْبُهُمَا؟ قَالَ:  
 كَانَا يَتَّبِعَانِ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَيَنْظُرَانِ إِلَى الشَّبَابِ<sup>(١)</sup>.

**أيها المسلم:** ابتعد عن المعاصي وَاتَّقِ اللَّهَ، إِلَى مَتَى  
 تَمِيلُ إِلَى الْمَهْلَكَاتِ؟ وَإِلَى مَتَى تَنْظُرُ إِلَى النِّسَاءِ الْأَجْنَبِيَّاتِ؟  
 وَإِلَى مَتَى تَرُغِبُ فِي مُشَاهَدَةِ الصُّوَرِ الْجَمِيلَةِ بِعَاطِ الشَّهْوَةِ؟  
 أَمَا أَنْ لَكَ أَنْ تَتُوبَ وَتَلْتَزِمَ بِالْحِجَابِ الشَّرْعِيِّ عَنِ  
 الْأَجْنَبِيَّاتِ وَتُبَالِغَ فِي الْإِعْرَاضِ عَنِ الْمُرْدَانِ وَعَنِ النَّظَرِ إِلَيْهِمْ  
 وَعَنِ التَّلَذُّذِ بِمُخَالَطَتِهِمْ وَمُجَالَسَتِهِمْ وَمُصَافَحَتِهِمْ وَمُتْلَعِبَتِهِمْ  
 وَمُبَاسَطَتِهِمْ وَمُعَانَقَتِهِمْ مَعَ الشَّهْوَةِ؟ وَاعْلَمْ أَنَّ النَّظَرَ إِلَى وَجْهِ

<sup>(١)</sup> ذكره الشيخ شعيب الحريفيش (ت ٨٠١هـ) في "الروض الفائق"،

المجلس الثاني في قوله: ﴿الرحمن، علم القرآن﴾ ص ١٤١.



الصَّبِيِّ الْأَمْرَدِ الْحَسَنِ الْوَجْهَ بِالشَّهْوَةِ حَرَامٌ، بَلْ كُلُّ مَنْ  
يَتَأَثَّرُ قَلْبُهُ بِجَمَالِ صُورَةِ الْأَمْرَدِ فَيَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَحْفَظَ عَيْنَهُ  
عَنْ وَجْهِهِ، وَذَكَرَ إِسْمَاعِيلُ حَقِّي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي "رُوحِ  
الْبَيَانِ": أَنَّ الْقَاضِيَ قَالَ: سَمِعْتُ الْإِمَامَ يَقُولُ: إِنَّ مَعَ كُلِّ  
امْرَأَةٍ شَيْطَانَيْنِ وَمَعَ كُلِّ غُلَامٍ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ شَيْطَانًا<sup>(١)</sup>.

**أَيُّهَا الْأَحِبَّةُ وَمَنْ أَسْبَابُ سُوءِ الْخَاتَمَةِ: تَرْكُ الْحَجِّ**  
مَعَ الْإِسْتِطَاعَةِ كَمَا رُوِيَ عَنْ أَبِي أَمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:  
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ لَمْ يَمْنَعَهُ عَنِ  
الْحَجِّ حَاجَةٌ ظَاهِرَةٌ، أَوْ سُلْطَانٌ جَائِرٌ، أَوْ مَرَضٌ حَابِسٌ،  
فَمَاتَ وَلَمْ يَحُجَّ، فَلَيُمُتْ إِنْ شَاءَ يَهُودِيًّا، وَإِنْ شَاءَ  
نَصْرَانِيًّا»<sup>(٢)</sup>.

فِي هَذَا الْحَدِيثِ نَهَايَةُ التَّشْدِيدِ عَلَى مَنْ مَاتَ وَلَمْ  
يَحُجَّ مَعَ الْإِسْتِطَاعَةِ وَخِيفَ عَلَيْهِ زَوَالُ الْإِيمَانِ، فَيَنْبَغِي

---

(١) ذَكَرَهُ شَيْخُ إِسْمَاعِيلِ حَقِّي فِي "رُوحِ الْبَيَانِ"، سُورَةُ الْأَعْرَافِ، ١٩٨/٣.

(٢) أَخْرَجَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ (ت ٢٥٥هـ) فِي "سُنَنِ الدَّارِمِيِّ"،

٤٥/٢، (١٧٨٥)، وَ"شُعْبُ الْإِيمَانِ"، ٤٣٠/٣، (٣٩٧٩).

للمسلم أن يَعْمَلَ بالأسباب التي تُوصِلُ إلى خَيْرِي الدُّنْيَا  
والآخِرَةِ ويحترزَ من جميع الأسباب التي توصلُ إلى النار،  
وقد جاء في رجلٍ مِمَّنْ كان يَلْعَبُ بِالشُّطْرُنَجِ أَنَّهُ أُحْتَضِرُ  
فَقِيلَ لَهُ: قُلْ: لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، فقال: شَاهَكَ، ثم ماتَ فَغَلَبَ  
على لسانه ما كان يَعْتَادُهُ في حال حَيَاتِهِ مِنَ اللَّعِبِ بِهَا،  
فقال ذلكَ اللَّغْوُ الباطِلَ عِوَضَ كَلِمَةِ الإِخْلَاصِ وَنظِيرُ ما  
ذَكَرَ عَن هَذَا المَخْتُومِ لَهُ بقوله: [شَاهَكَ] ما جاء عن  
إنسان كان يُجَالِسُ شَرَبَةَ الخَمْرِ، فَلَمَّا أُحْتَضِرَ لِقِنَ الشَّهَادَةِ  
فقال لمن يُلقِنُهُ: اشْرَبْ وَأَسْقِنِي ثُمَّ ماتَ فلا حَوْلَ ولا قُوَّةَ  
إِلاَّ بالله العليِّ العظيم.

وهكذا من عظم معه شره تتعدرُ توبته ويخشى عليه  
من سوء الخاتمة وهذا من خذلان الشيطان للإنسان عند  
الموت، فإن هذه المعركة هي معركة الأخريرة. وعن  
سفيان الثوري رضي الله تعالى عنه أنه خرج إلى مكة  
حاجًّا فكان يبيكي من أول الليل إلى آخره في المحمل،  
فقال له شيبان الراعي: يا سفيان لم بكأوك؟ إن كان لأجل

المعصية فلا تَعْصَهُ، فقال سفيانُ: أمّا الذنوبُ فما خَطَرَتْ بِبالي قَطَّ صَغِيرُهَا وَلَا كَبِيرُهَا، وليس بُكائي يا شيانُ من أجلِ المعصية، ولكن من خوفِ الخاتمة؛ لأنّي رأيتُ شيخاً كبيراً كَتَبْنَا عَنْهُ الْعِلْمَ وَعَلَّمَ النَّاسَ أَرْبَعِينَ سَنَةً، وَجَاوَرَ بَيْتَ اللَّهِ الْحَرَامِ سَنِينَ، وَكَانَتْ تُلْتَمَسُ بَرَكَتُهُ وَيُسْتَسْقَى بِهِ الْغَيْثُ، فَلَمَّا مَاتَ تَحَوَّلَ وَجْهُهُ عَنِ الْقِبْلَةِ وَمَاتَ إِلَى الشَّرْقِ كَافِرًا فَمَا أَخَافُ إِلَّا مِنْ سُوءِ الْخَاتِمَةِ، فَقَالَ لَهُ: إِنَّ ذَلِكَ مِنْ شُرُومِ الْمَعْصِيَةِ وَالْإِصْرَارِ عَلَى الذَّنُوبِ، فَلَا تَعْصِ رَبَّكَ طَرْفَةَ عَيْنٍ<sup>(١)</sup>. فينبغي للمسلم أن يخافَ من سوءِ الخاتمة ولا يَعْجَبَ بِعِلْمِهِ وَعَمَلِهِ وَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ، فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي أَيَسَلَّمَ لَهُ الْإِيمَانُ عِنْدَ الْمَوْتِ أَمْ لَا؟ وَيَسْأَلُ اللَّهُ حَسَنَ الْخَاتِمَةِ بِالْإِيمَانِ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ عَبْدَ اللَّهِ ثَمَانِينَ أَلْفَ سَنَةٍ فَلَمْ يَتْرُكْ مَوْضِعَ قَدَمٍ إِلَّا وَسَجَدَ لِلَّهِ تَعَالَى فِيهِ سَجْدَةً،

---

(١) ذكره الشيخ سيدنا ومولانا شعيب بن سعد بن عبد الكافي الحريفيش (ت ٨٠١هـ) في "الروض الفائق في المواعظ والرقائق"، المجلس الثاني في قوله تعالى: ﴿الرحمن، عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾، ص ١٤.

ولكنه تكبرَ على أمرِ الله له بالسَّجودِ وكَفَرَ، وهو يُريدُ أن يأخذَ معه بني آدمَ إلى النَّارِ ويُحَرِّفَ الإنسانَ ويُعوِّقه عن الاستجابة للحقِّ حتَّى إنَّه يشدُّدُ عليه في ساعة الرَّحيلِ ويُشكِّكُه في أصلِ الدِّينِ ويُخيِّلُ إليه خيالاتٍ باطلةً كما قال سيِّدُ الأنامِ ومصباحُ الظَّلامِ وحبیبُ المَلِكِ العلامِ عليه أفضلُ الصَّلَاةِ والسَّلَامِ: «أنَّ العبدَ إذا كان عند الموتِ قَعَدَ عنده شيطانانِ ، الواحدُ عن يمينه والآخرُ عن شماله فالذي عن يمينه على صِفَةِ أبيه يقول له: يا بُنَيَّ ! إني كنتُ عليك شفيقاً ولكَ مُحبِّباً ولكن مُتُّ على دينِ النَّصارى فهو خيرُ الأديانِ ، والذي على شماله على صِفَةِ أمِّه تقول له: يا بُنَيَّ ! إنَّه كان بَطْنِي لكَ وِعَاءٌ و تَدْيِي لكَ سِقَاءٌ و فَخِذِي لكَ و طَاءٌ ولكن مُتُّ على دينِ اليهودِ وهو خيرُ الأديانِ»<sup>(١)</sup>.

**أيُّها المسلمون:** في حالة الاحتضارِ يكونُ الإنسانُ أضعفَ وفي نفسِ الوقتِ يكونُ الشَّيْطَانُ عليه أقوى؛ لأنَّ

---

(١) ذكره القرطبي في "التذكرة"، باب ما جاء أنَّ الميت يحضر الشيطان عند موته وجلساؤه في الدنيا... إلخ، ٣٨/١، [المكتبة الشاملة].

هذه السَّاعَةَ هي الفرصةُ الأخيرةُ أمامه لِعَوَايَةِ هذا العبدِ المُحْتَضِرِ، فَيَسْتَعْمِلُ كُلَّ قُوَّةٍ وَكُلَّ حِيلَةٍ وَيَسْتَنْفِرُ عَلَيْهِ كُلَّ أَعْوَانِهِ، فَلَا تَأْمَنُوا مَكَرَ اللَّهِ وَتَفَكَّرُوا بِشِدَّةِ سَكْرَاتِ الْمَوْتِ وَظُهُورِ أَهْوَالِهِ وَغَمْرَاتِهِ، وَاحْتَرِزُوا مِنَ الْأَسْبَابِ الَّتِي تُفْضِي إِلَى سُوءِ الْخَاتِمَةِ وَاعْلَمُوا أَنَّ أَلَمَ الْمَوْتِ أَفْظَعُ هَوْلٍ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَعِنْدَمَا يَرَى الْمُحْتَضِرُ مَلَكَ الْمَوْتِ تَحَصَّلَ لَدَيْهِ السَّكْرَاتُ وَالْعَبْرَاتُ فَهُوَ يَسْمَعُ وَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَرُدَّ، وَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُعْبِّرَ، وَيَحْصُلُ لَدَيْهِ ارْتِبَاكُ الْقَلْبِ وَعَدَمُ انْتِظَامِ ضَرْبَاتِهِ، فَيَصْحُو أحيانًا وَيَعْفُو أحيانًا مِنْ شِدَّةِ سَكْرَاتِ الْمَوْتِ فَقَدْ رُوِيَ: لَوْ أَنَّ قَطْرَةً مِنْ أَلَمِ الْمَوْتِ وُضِعَتْ عَلَى أَهْلِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَمَاتُوا جَمِيعًا<sup>(١)</sup>.

وَكَانَ أَبُو الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ يَحْلِفُ بِاللَّهِ:

مَا أَحَدٌ آمَنَ عَلَى إِيمَانِهِ أَنْ يُسَلِّبَهُ عِنْدَ الْمَوْتِ إِلَّا سَلِّبَهُ<sup>(٢)</sup>.

---

(١) "شرح الصدور"، باب من دنا أجله وكيفية الموت وشدته، ص ٣٢.

(٢) ذكره الغزالي (ت ٥٠٥ هـ) في "إحياء علوم الدين"، كتاب الخوف

والرجاء، بيان الدواء الذي به يستجلب حال الخوف ٤/٢١١.

وقال الإمام الغزاليُّ رحمه الله تعالى: عند استقرار النفس في التَّرقِّي والارتفاع يُعْرَضُ عليه الفتنُ، وذلك أن إبليسَ قد أنْفَذَ أَعْوَانَهُ إلى هذا الإنسانِ خاصَّةً واستعملهم عليه ووكَّلهم به فيأتون المرء وهو في تلك الحال فيتَمَثَّلون له في صورة من سَلَف من الأَحْبَاءِ المَيِّتِينَ الباغينَ له النُّصْحَ في دارِ الدُّنيا كالأب والأمِّ والأخ والأخت والصدِّيقِ الحَمِيمِ فيقول له: أنتَ تموتُ يا فلانُ ونحن قد سَبَقْنَاكَ في هذا الشَّانِ فَمَتَّ يَهُودِيًّا فهو الدِّينُ المَقْبُولُ عند الله، فإن انصَرَفُوا عنه وأبى جاءه آخرون وقالوا له: مُتْ نصرانيًّا فَإِنَّهُ دِينُ المَسِيحِ ونُسِخَ به دِينُ موسى ويذْكُرُونَ له عَقَائِدَ كُلِّ مِلَّةٍ، فعند ذلك يَزِيغُ اللهُ من يُرِيدُ زَيْغَهُ<sup>(١)</sup>.

إخواني المُسلمين قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا هَذَا الشَّرْكَ فَإِنَّهُ أَخْفَى مِنْ دَيْبِ النَّمْلِ» فقال له من شاء اللهُ أن يقول: وكيف نَتَّقِيهِ وهو

<sup>(١)</sup> ذكره لحجة الإسلام الإمام سيدنا أبي حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ) في "الدرة الفاخرة في كشف علوم الآخرة"، مع مجموعة رسائله، ص ٥١١.

أخفى من ديب التمل يا رسول الله؟ قال: «قولوا: اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ نُشْرِكَ بِكَ شَيْئًا نَعْلَمُهُ وَنَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لَا نَعْلَمُ»<sup>(١)</sup>. وقال الإمام أحمد رضا خان رحمه الله تعالى: مَنْ قَالَ كُلَّ يَوْمٍ فِي الصَّبَاحِ: (يا حيُّ يا قيُّومُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ) إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ مَرَّةً، وَقَرَأَ سُورَةَ الْكَافِرُونَ عِنْدَ النَّوْمِ تَكُونُ خَاتَمَتُهُ بِالْإِيمَانِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ<sup>(٢)</sup>. وقال أيضاً: مَنْ قَالَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فِي الصَّبَاحِ وَالْمَسَاءِ: (بِسْمِ اللَّهِ عَلَيَّ دِينِي بِسْمِ اللَّهِ عَلَيَّ نَفْسِي وَوُلْدِي وَأَهْلِي وَمَالِي) يَحْفَظُ اللَّهُ عَلَيْهِ دِينَهُ وَإِيمَانَهُ وَنَفْسَهُ وَمَالَهُ وَأَوْلَادَهُ<sup>(٣)</sup>.

**أَيُّهَا الْمَسْلُومُونَ:** اعْلَمُوا أَنَّ مَنْ خْتَمَ لَهُ بِالْكَفْرِ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ يَخْلُدُ فِي النَّارِ وَيَسْتَحِقُّ الْعَذَابَ، وَقَدْ رُوِيَ عَنِ

(١) أخرجه الإمام أحمد (ت ٢٤١هـ) في "المسند"، ١٤٦/٧، (١٩٦٢٥)،

وابن أبي شيبة (ت ٢٣٥هـ) في "مصنفه"، كتاب الدعاء، ٨٨/٧، (١) والطبراني في "المعجم الأوسط"، ٣٤٠/٢، (٣٤٧٩).

(٢) الإمام أحمد رضا (ت ١٣٤٠هـ) في "الملفوظ الشريف"، ص ٣١١.

(٣) الإمام أحمد رضا (ت ١٣٤٠هـ) في "الوظيفة الكريمة"، ص ٨.

سويد بن غفلة رضي الله عنه قال: إذا أراد الله أن ينسى أهل النار جعل للرجل منهم صندوقاً على قدره من نار لا ينبض منه عرق إلا فيه مسمار من نار ثم تضرم فيه النار ثم يقفل بقفل من نار ثم يجعل ذلك الصندوق في صندوق من نار ثم يضرم بينهما نار ثم يقفل بقفل من نار ثم يجعل ذلك الصندوق في صندوق من نار ثم يضرم بينهما نار ثم يقفل ثم يلتقى أو يطرح في النار<sup>(١)</sup>.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يؤتى بالموت كهيفة كبش أملح فينادي مُنادٍ يا أهل الجنة فيشربون وينظرون فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموت وكلهم قد رآه، ثم ينادي: يا أهل النار فيشربون وينظرون فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموت وكلهم قد رآه، فيذبح ثم يقول: يا أهل الجنة خلودٌ فلا موتَ ويا أهل النار خلودٌ فلا موتَ»<sup>(٢)</sup>.

(١) ذكره المنذري في "الترغيب والترهيب"، ٢٦٨/٤، (٩٢).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه"، كتاب التفسير، ٢٧١/٣، (٤٧٣٠).



وقد أخرج البخاري في كتاب الرقاق بهذا اللفظ:  
 أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا صَارَ أَهْلُ  
 الْجَنَّةِ إِلَى الْجَنَّةِ وَأَهْلُ النَّارِ إِلَى النَّارِ جِيءَ بِالموتِ حَتَّى  
 يُجْعَلَ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ثُمَّ يُذْبَحُ ثُمَّ يُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ  
 الْجَنَّةِ لَا مَوْتَ وَيَا أَهْلَ النَّارِ لَا مَوْتَ، فَيَزِدَادُ أَهْلَ الْجَنَّةِ  
 فَرَحًا إِلَى فَرَحِهِمْ وَيَزِدَادُ أَهْلَ النَّارِ حُزْنًا إِلَى حُزْنِهِمْ»<sup>(١)</sup>.

واعلموا أيها المسلمون أَنَّ سَيِّدَ الأوَّلِينَ وَالآخِرِينَ  
 وَحَبِيبَ رَبِّ الْعَالَمِينَ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كَانَ  
 يَتَفَكَّرُ فِي حِفْظِ إِيمَانِ الْمُسْلِمِينَ وَيَنكِي بِكُأَشَدِّدًا مِنْ  
 الخوفِ عَلَى إِيمَانِهِمْ كَمَا حُكِيَ أَنَّ إبليسَ عَلَيْهِ اللَّعْنَةُ تَمَثَّلَ  
 لِلنَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَوْمًا وَبِيَدِهِ قَارُورَةٌ مَاءٍ فَقَالَ:  
 أبيعُهُ بِإِيمَانِ النَّاسِ حَالَةَ النَّزْعِ، فبَكَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى

---

(١) أخرجه الإمام محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ) في "صحيحه"،  
 كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار، ٤/٢٦٠، (٦٥٤٨)، والإمام  
 أحمد (ت ٢٤١هـ) في "المسند" كتاب مسند المكثرين من الصحابة،  
 باب مسند عبد الله بن عمر بن الخطاب ، ٤٦٦/٢ ، (٦٠٢٩).

عليه وسلّم حتّى بَكَتْ أهُلُّ بَيْتِهِ فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ: أَنِّي  
أَحْفَظُ عِبَادِي فِي تِلْكَ الْحَالَةِ مِنْ كَيْدِهِ<sup>(١)</sup>.

فينبغي على كلِّ مسلمٍ أن يسألَ اللهَ عزَّ وجلَّ حُسْنَ  
الخاتمة ومحمودَ العاقبةِ ولا يَقْنَطَ من رحمته ويسافرَ في  
سبيلِ الله معَ قوافلِ الإخوةِ الدُّعاةِ إلى الله تعالى، فبذلك  
يَتَوَلَّدُ الفِكْرُ في حِفْظِ الإيمانِ إن شاء الله عزَّ وجلَّ.

وفي الحتام نَسألُ اللهَ المَنَّانَ بفضله أن يَتَوْفَّأَنَا مسلمينَ لا  
مُبدلينَ و لا مغيَرينَ و لا ضالِّينَ و لا زائِغينَ إنَّه جواد  
كريم. وصلى اللهُ تعالى على رسوله الأمينِ محمَّدٍ وعلى آله  
وصحبه أجمعينَ وبَارَكَ وسلَّم.

---

(١) ذكره الحقي في "روح البيان"، سورة النازعات، ٣١٥/١٠.

سلسلة تألفيات فضيلة الشيخ الداعية الكبير  
 أبي بلال محمد إلياس العطار القادري الرضوي  
 حفظه الله تعالى

الغفلة	اختبار القبر
عظام الملوك	الطريقة لإصلاح النفس
الشاب الحي	صفقة قصر الجنة
عجز الميت	مولد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
هموم الميت	ضياء الصلاة والسلام
احترام المسلم	الأزهار من روضة الأبرار
علاج الذنوب	الشجرة القادرية
أنوار بسم الله	القصر الخراب
هول الصراط	الخزينة المليئة بالأسرار
موت أبي جهل	أريد إصلاح نفسي
عقاب الظلم	نداء النهر
علاج الغضب	المحاضرات الإسلامية